أما اليونان فقد كانت أعيادُها شاهدة على سماع مسرحيات التمثيل القديمة ، وفيها ألواحٌ من الهجاء: فى ذمّ المرأة الفاجرة ، أو الآلهة الغادرة ، أو اللص الباغى ، أو التاجر البخيل . وقد وصلتْ إلينا بقيةٌ من هذا الهجاء تدلّ على ما ضاع ، تعرض علينا منه صورة نتمثله بشعر أرخيلوكوس[1] وقد كان إماماً لهذا الفنّ ، أعْجَبَ به هوراس وقلده كثيرٌ من شعراء اليونان واللاتين . ونجده كذلك عند الشاعر سيمونيدس فى قصيدة يهجو بها بعضَ النساء ، فيصوّرها كأنّ اللهَ أخرجها من خنزير يسرحُ بنوها فى الدار على اضطراب وفوضى ، وتراهم طرحى على الأرض يتمرّغون فى القذر ، والأمّ تمرحُ بينهم كما تمرحُ الخنازيرُ فى حظائرها وتزداد شحماً على شحم . ويصوّر بعضَهن كأن اللهَ أخرجها من ثعلبة ماكرة فهى لا تغفل عن شىء شرًّا كان أو خيراً ، وصَوَّر أخرى كالكلبة فى حركتها ونشاطها تُطلق لسانها بالسوء ، ولا يُجدى فيها وعيدٌ أو تهديدٌ ، ثم صوّر امرأة كالبحر ذات طبعين مشرقة يوماً وعبوساً يوماً آخر . فالشاعر اليونانى رسم المرأة فى جسدها المترّهل المتضخم ، ورسمها فى خلقها الثعلبى ، ثم جعلها كالكلبة فى حركتها ، فقدم إلينا لوحاتٍ للجسد والخلق والحركة ، ولعله يضحكنا منهن فى سخرية جميلة خفيفة جمعتْ قوالبَ الهجاء فى القديم قبل الميلاد ، تُشبه ما استعمله العرب من هجاء فيما بعد .

وفى المسرحيات اليونانية صور للهجاء كذلك تصفُ الشذوذَ على ألوانه ، فتتناول البخلَ أو السمنَ أو الثرثرةَ ، وتُصيبُ الأخلاقَ أو حالات النفس كما تُصيب أوضاعَ الجسد على حدّ سواء . ولسنا فى صدد تفصيل الهجاء عند اليونان لنورد ما قالت الشاعرة سافو أو ماكتب أنيكارموس فى الطفيلى ، وإنما يحسن الرجوع إلى المصادر ليوازن بينها وبين ما رسم العرب بعد قرون عند الجاحظ والتوحيدى وغيرهما من صور الهجاء الفنى ، لنجد القرب والشبه على شكل غريب .

وفى شعر الملاحم عند اليونان والرومان كثيرٌ من هذه الأمثال فى الهجاء ، وردتْ سخيّة كما وردتْ فى شعر الهند والصين والفرس ، ولكنها صيغت أحياناً

---

(١) قصة الأدب فى العالم ، لأحمد أمين وزكى نجيب محمود ، ١/١٦٧ .